الزراعة الجافة بمنطقة مريوط

يطلق اسم مريوط على المنطقة الساحلية من الصحراء الليبية الممتدة من الجهة الغربية لمدينة الاسكندرية حدود برقة . ولو رجعنا إلى العهد الرومانى لتبين لنا أنه كانت هناك طرق مائية تخرج من النيل وكذلك حركة ملاحية وأماكن شاسعة للاستيطان والزراعة فى الأجزاء الواقعة بين مدينتى العامرية والحمام الحاليتين . وزيارة واحدة إلى تلك الأصقاع تحقق ما ذكره التاريخ فالمتجول يشاهد أطلالا كثيرة من المدن والآبار وخزانات المياه المطمورة والمعابد والحصون وذلك دليل على كثرة السكان وتقدم العمران فى هذه المنطقة من قديم الزمان ، ومع مرور الزمن تراكمت الرمال فى المجارى المائية فانقطعت المواصلات المائية بين هذه المنطقة والدلتا .

وتعتمد زراعة هذه المنطقة إلى حد بعيد سواء فى الأزمنة القديمة أو الحديثة نسبياً على مياه الأمطار التى تسقط شتاء والتى تعزى إلى تأثير البحر الأبيض المتوسط .

وتختلف كمية هذه الأمطار من عام لعام وتتراوح ما بين ٣ — ٤ بوصات كحد أدنى إلى عشر بوصات كحد أقصى فى السنوات الممطرة : إلا أن هذه السنوات الكثيرة الأمطار نادرة .

وعلى العموم كانت محاصيل منطقة مريوط ضعيفة « اللهم إلا فى سنة ١٩٣٨ حيث وصل محصولها لدرجة لم يسبق لها نظير منذ ٤٠ سنة » وقد بلغت الحالة لدرجة القحط فى بعض السنين . ومع ذلك نعلم منذ ألفى سنة أو أكثر كانت مريوط مشهورة بكرومها وزيتونها وحبوبها وأقرب دليل على ذلك وجود المعاصر المطمورة حتى الآن . ولهذا يجدر بنا أن نتساءل هل الأمطار اليوم أقل منها فى الزمن الماضى ؟ أو هل تبدل الطقس بدرجة جعلت متوسط

كمية المطر السنوية تقل قلة ظاهرة عما كانت عليه فى الماضى .

لقد كان للفتح العربى فى القرن الثامن بعد الميلاد ودخول البدو الرحل بقطعانهم وجمالهم إلى تلك المناطق أثر سيئ فى تدهور هذه المنطقة لأنهم لم يأخذوا بطرق الزراعة المستقيمة واكتفوا على جارى عادتهم برعى النباتات متنقلين من مكان إلى آخر حيث تتوافر المراعى .

كما يمكن أن نقول أن جزء الأمطار الذى يسقط فى هذه الجهة يتكون خارج حدودنا فالرذاذ الذى يتساقط فى هذه الجهة تحملها إليها الرياح الشمالية التى تهب من البحر الأبيض إليها فلا يمكن والحالة هذه أن نسلم بأن الأمطار القليلة التى تسقط فى هذه الجهة تكون عاملا أساسياً فى هذا التدهور .

ولو كانت الأمطار تسقط سنوياً بكمية كافية لما كان هناك ضرورة لإنشاء صهاريج المياه التى أنشئت والتى بذل فى إنشائها مجهودات ضخمة لغرض خزن مياه الأمطار مع العلم بأن هذه الصهاريج ترى منتشرة فوق التلال وتعد بالآلاف . ولقد كانت على منحدرات تلال الصحراء المتجهة جنوباً كروم العنب القديمة التى كانت على شكل حدوة الحصان وكان إرتفاعها من ١٠ — ١٢ قدماً وتبلغ مساحة الحدوة من ٥ — ١٠ أفدنة وتتجه فتحات هذه الحدوات ناحية منحدرات التلول وذلك لتتجه المياه المنحدرة إلى داخل تلك المساحات كما أن هذه المرتفعات كانت تحمى الكروم من الرياح الشمالية الباردة .

طبيعة الأرض بمريوط : إن لطبيعة الأرض بمنطقة مريوط أهمية فى تحديد الأنواع المختلفة من النباتات المستوطنة . فهذه النباتات تلائم تقريباً سلسلة المناطق المتعاقبة الموازية للشاطئ . فالمنطقة الأولى الخارجية وهى المجاورة للبحر عبارة عن كثبان رملية يبلغ عرضها حوالى الميل وتتركب من أصداف مائية متفتتة وكربونات كلسيوم نقية وقد تحللت حتى أصبحت فى شكل أولايت Oolites « حجر جيرى » وشكلها بيضى مستطيل .

والطبقة التالية الموازية لطبقة الكثبان هى الطبقة الصخرية المكونة من بقايا الأصداف الجيرية على صورة حجر جيرى يبلغ ارتفاعها نحو ١٠٠ قدم.

يلى ذلك سهل البحيرة ويبلغ عرضه ميل ونصف إلى ميلين ويفصله عن البحيرة نفسها طريقان مرتفعان وقد جف ذلك الجزء إلا أنه عرضة للغمر بالماء عند تساقط الأمطار شتاء.

ويتاخم هذه المنطة إلى الجنوب منطقة من سلسلة تلال تشبه السلسلة الأولى فى المساحة الواقعة بين هاتين المنطقتين ميلين ونصف. وقد أخذت أحجار من هاتين المنطقتين فى الأزمنة القديمة.

أما الجزء الجنوبى لهذه المنطقة الأخيرة فينحدر تدريجياً لمسافة تتراوح بين ميل ونصف وميلين حتى يصل إلى طريق السكة الحديد الذى يسير موازياً تقريباً لساحل البحر ثم يأخذ فى الارتفاع جنوباً نحو الصحراء بميل يبلغ نحو ١/٥٠

ويزرع معظم الشعير فى الجزء الواقع بين السلسة الأخيرة الجنوبية والصحراء حيث تستوى تلك الأراضي تقريباً ويختلف عرض ذلك النطاق الذى يزرع سنوياً من عام لعام تبعاً لهطول الأمطار أو انتظارها وهى لا تتعدى ١٥ ميلا فى أية جهة — ففى جزء فيها يندر الشعير فى فصل الخريف وفى غيره لا يندر إلا إذا بدأ المطر فى التساقط فعلا.

الزراعة بمريوط : ١ — توجد حدائق التين والعنب وبعض النخيل ونباتات أخرى من الخضروات كالقرع والبطيخ والشمام والكرنب على المنحدرات المنخفضة للسلسلة الخارجية المجاورة للكثبان الرملية (وتعرف بمنطقة أبوصير) وكذلك توجد هذه الزراعات على بعض من الأجزاء الثابتة لهذه الكثبان — ولقد انتشرت زراعة التين فى السنوات الحديثة وتكاد تكون متصلة من أبى صير إلى ضواحى الاسكندرية.

٢ — أما المنطقة الأساسية التى يزرعها البدو شعيراً فهى الأراضى المتاخمة لسهل البحيرة شمالا وجنوباً على المنحدرات المنخفضة للسلسلة الداخلية والمسماة بجبل مريوط وعلى الجزء العريض المسطح المتجه جنوباً لمسافة تتراوح بين ٨ — ١٠ أميال . والمحصول الناتج قليل . أما طريقة الزراعة فتنحصر فى تقسيم الأرض بالمحراث لأحكام البذار ثم تبذر الأرض باليد وتحرث حرثاً سطحيا بمحراث تجره الحيوانات الموجودة بهذه المنطقة كالحمير أو البغال أو الثيران أو الجمال . والشعير هناك لا يروى بل يعتمد على ماء المطر فقط . وكان المحصول سنة ١٩٣٠ جيداً وكذلك عام ١٩٣٨ أما السبعة السنوات التى بينهما فكانت عجافاً وكان المحصول ضئيلا ومع ذلك فتجد الأعراب مستمرين فى الزراعة ممتلئين أملا نظراً لأنه لو تعذر عليهم الحصول على التقاوى منحتهم الحكومة التقاوى وأمدتهم هيئات خاصة ببعض المساعدة .

وتبلغ مساحة الشعير بهذه المنطقة حوالى ٦٠ ٪ من الجزء المنزرع .

وبما أن الشعير يقلع عادة ولا يحصد فلا يبقى منه شىء يحرث اللهم إلا بعض الحشائش .

ونظراً لأن أهالى هذه المنطقة مهددون أحياناً بالقحط بسبب قلة أو انعدام الأمطار لعدة سنوات متوالية يبدو بعدها شبح الجوع فيندفع البدو حينئذ بحالهم وأغنامهم إلى وادى النيل يشتغلون فى حمل الأثقال إلى أن يأتى فصل الأمطار المقبل فيعودون لبذر الشعير كالعام الذى سبقه متكلين بعد الله على الأمطار لريه .

لذلك فكرت وزارة الزراعة فى تحسين حالة هؤلاء الأهالى فبدأت بإنشاء محطة للتجارب ببرج العرب عام ١٩١٨ التى تبعد نحو ٥٠ كيلو متراً عن مدينة الإسكندرية والغرض من إنشائها هو دراسة ما تجدد من الأشجار أو النباتات فى تلك المنطقة والمناطق المماثلة لها مستعينين فى ذلك على مياه الأمطار والآبار وتبلغ مساحة هذه المحطة ١٠٠٠ فدان والمنزرع منها حوالى ٢٥٠ فدان تقريباً .

وقد عالج قسم البساتين أنواع أشجار كثيرة بشتى الطرق الفنية لمعرفة ما تجود منها ولم يقف مجهوده فقط عند أشجار الفاكهة بل أجرى عدة تجارب على المحاصيل الزراعية والخضر والنباتات العطرية والطبية والأزهار والأشجار الخشبية وعنى بتربية الماشية والماعز والأغنام معتمداً فى تغذيتها على ما يمكن إنتاجه محليا .

وجدير بنا أن نذكر أن من الأشجار المثمرة التى نجحت ويمكن الاعتماد على نشرها من مواد العلف فى كل منطقة مريوط كمحاصيل رئيسية هى أشجار الزيتون الشملالى الذى استورده قسم البساتين من بلاد تونس حيث دلت التجارب على أن نسبة الزيت فيه نحو ١٦ ٪ من وزنه ومما يجب ملاحظته أن معظم زيت الزيتون الذى يستهلك فى وادى النيل يرد من الخارج فبتعميم زراعة الزيتون الشملالى فى هذه المنطقة يمكن أن يستغنى به عن المستورد إلى حد كبير .

ومن الأشجار الناجحة بمنطقة مريوط أيضاً شجرة الخرنوب التى استوردها القسم من أصناف منتخبة بكاليفورنيا وينشر زراعة هذا النوع من الأشجار على ساحل البحر الأبيض المتوسط الغربى يستغنى عن المستورد منه كما أن البدو يدخلون ثمار الخرنوب فى تغذيتهم وتغذية مواشيهم .

ولقد نجحت زراعة التين بمنطقة الساحل نجاحاً عظيما ونذكر بالاغتباط أن مساحات المنزرع منه قد تضاعفت بسبب تشجيع القسم للأهالى وإرشادهم وحضهم على الإكثار منها ، كما أنه خصص جزءا من معامله ببرج العرب لصناعة مربى التين حتى يمكن تنظيم تصريف جزء من المحصول فى حالة وفرته .

ولقد نجحت أيضاً شجرة اللوز بمنطقة مريوط ، وقد استوردت الوزارة عدة أصناف لغرض انتخاب أحسنها لنشره على المنطقة الساحلية ، وكذلك نجحت زراعة العنب والخوخ والكمثرى فى المنخفضات أو فى سفوح التلال التى تتحدر إليها كمية وافرة من سيل الأمطار المتساقطة . وقد نجحت أيضاً

زراعة النخيل وكذا ستنجح أشجار العناب والرمان . ولقد أجريت ببرج العرب عدة تجارب على كثير من الأشجار الخشبية فنجح منها أشجار العبل والسرو والصنوبر والفلفل ذى الورق العريض والرفيع والمخيط والنبق والأكاسيا وأنواع من فصيلة السنط .

وقد نجح من الخضر أنواع الكرنب والقنبيط والجزر والاسباناخ والطماطم والخرشوف والبازلاء والقرع والخبازى والبصل والفجل والفلفل واللفت والبنجر والجرجير والفول الرومى وكلها خضر لم يسبق زرعها فى هذه المنطقة .

وأقيمت تجارب كثيرة على نباتات الروائح العطرية ، فنجح منها النعناع والعطر والفتنة وحصى اللبان والبردقوش ، وأجرى القسم عمل تجارب على استخراج هذه الروائح بمعامله ببرج العرب والجيزة كما نجح فى زراعة بعض النباتات الطبية كالسكران والأليزرا وغيرها .

أما عن النباتات الخاصة بتغذية المواشى فقد نجح منها بنجر العلف نجاحاً عظيما حيث تؤكل أوراقه ورؤوسه فى فصل الصيف عند ما تكون الحشائش معدومة ونظراً لأن الشعير هو المحصول الرئيسى فى منطقة مريوط ويتوقف نجاحه على كثرة نزول الأمطار فى أوقات مناسبة لحاجة النبات . لذلك فكرت الوزارة فى إجراء جملة تجارب على هذا المحصول لتحسين حالته ، ومن ضمن هذه التجارب الاستعانة على الرى بماء الآبار ، وإذا تأخر المطر عن موسم الزراعة أو إذا تأخر بعد الزراعة وكان هذا التأخير مضرا بالنبات . كما أجريت تجارب على التسميد بأنواع السماد الكيمائى وكذا تجارب على الحرث العميق بواسطة المحاريث الميكانيكية — وقد دلت هذه التجارب على أن الشعير الذى أمكن موالاته بالرى من ماء الآبار أفلح عند ما تأخر المطر وأعطى محصولا يبلغ متوسطه فى بدء الأربع سنوات الأخيرة خمسة أرادب للفدان ، ومن ثم نشأت فكرة حض الأهالى على حفر وتطهير الآبار الموجودة ووضع سواقى

عليها للاستعانة بها على رى حديقة تزرع فيها أشجار الفاكهة والنباتات التى تصلح فى المنطقة كما تزرع نحو أربعة أو خمسة أفدنة من الشعير تروى بماء الساقية إذا تأخر المطر وبذلك يضمن الأهالى قوتهم وقوت مواشيهم .

أما عن تجارب التسميد فقد ظهر فيها أن السماد يفيد فى حالة توفر المياه اللازمة للرى أما لو اعتمد على ماء المطر وكان قليلا فليست هناك فائدة منه .

وقد دلت تجارب الحرث العميق على نجاح كبير حيث يعطى الفدان غلة أوفر من نظيره المحروث بالمحراث البلدى وقد جربت الوزارة هذه التجربة بمرسى مطروح قبل سنوات الحرب وكانت تؤجر المحراث للأهالى بأجر زهيد هو ٨٠ مليما للفدان حتى يتسنى للأهالى حرث أراضيهم .

وقد أقبل البدو على حرث أراضيهم بهذه الآلة فلذا كانت دائمة العمل طول موسم الزراعة .

ولقد ألحق بمحطة تجارب برج العرب معمل لاستخراج الزيت وتحليل الزيتون واستخراج الكحول وصناعة الصابون وعمل المربيات من الفاكهة الناتجة من المنطقة .

ويتطلب العمل بهذه المزرعة كثيراً من الأيدى ينتخبها قسم البساتين من بين أهالى المنطقة المذكورة وتدريبهم على شتى الأعمال فمنهم ملاحظون لآلات الرى والحرث ومنهم المتدربون على تطعيم الأشجار وعلاجها بالرش أو التدخين وفضلا عن أنهم يتعلمون فنون الزراعة فهم ينتفعون بالأجور التى تنفقها الحكومة فى تلك المنطقة وحث موظفو الوزارة ببرج العرب العمال على إلحاق أولادهم بالمدرسة الإلزامية التى أنشئت هناك حتى يكونوا فى المستقبل فئة تستطيع أن تفهم المسائل الزراعية وتستخدم هؤلاء الأولاد من وقت لآخر فى أعمال الحديقة مثل جمع المحاصيل والعزيق حول الأشجار بعد الرى .

ولم يقتصر مجهود الوزارة على محطة تجارب برج العرب فقط بل تعداها

إلى استثمار ساحل البحر الأبيض المتوسط الغربى حتى السلوم فلذلك قامت الوزارة بتوزيع أشجار الزيتون والخرنوب وغيرها على البدو مجاناً وإرشادهم إلى طرق الزراعه والعناية بها وبلغ مقدار ما وزع منها نحو مائة ألف شجرة ولمصلحة الحدود فضل كبير فى المساعدة فى نشر زراعة الأشجار وذلك ببث الدعوة بشتى الطرق وحض الأهالى بكل وجوه الترغيب على الإكثار من زراعة الأشجار كما أنها قائمة بإصلاح الآبار القديمة الكثيرة العدد لتخزين مياه الأمطار واستعمالها صيفاً للرى . ومما ترتاح إليه النفس أن كثيراً من الحدائق التى غرست عام ١٩٣٢ أثمرت وأرسل أصحابها الزيتون إلى معامل برج العرب لاستخراج زيته . وكانت الوزارة عازمة على إنشاء معمل لعصر الزيت بمنطقة مرسى مطروح وفعلا أرسلت الأدوات إلا أن ظروف الحرب قضت بإحضار هذه المهمات للوادى للانتفاع بها لحين الانتهاء من هذه الحرب .

ولقد قامت الوزارة بتوزيع بقول الخضر أيضاً قبل الحرب بتلك المنطقة بثمن ضئيل فانتشرت زراعة الخضر خصوصاً بمنطقة مرسى مطروح واستغنى عن كثير من أنواعه التى كانت تجلب من مدينة الاسكندرية أسبوعياً بواسطة السفن .

مستقبل مريوط : إن منطقة مريوط غنية بشتى أنواع النباتات وكثير منها ذو أهمية اقتصادية فضلا عن أهميتها كمصدر طبيعى للنباتات الزيتية فالنباتات التى بها تمثل ثلث المجموعة النباتية الموجودة بالقطر ولقد أكسبت هذه « الفلورا » الغنية هذه المنطقة شهرة خاصة اجتذبت إليها عدداً كبيراً من الأجانب . وأصبحت المنطقة بين العامرية والكنجى مريوط على مسافة ٢٠ ميلا من الإسكندرية مكاناً محبباً لهم يقضون فيها عطلة آخر الأسبوع بمنازلهم الرشيقة التى شيدوها بهذه الجهة وزرعوا حولها حدائق تروى من الآبار بواسطة المراوح التى تدار بقوة الرياح .

ولو اتجهنا للغرب ناحية بلدة الحمام لوجدنا دلائل العمل والمثابرة على إنشاء

منطقة جديدة كمنطقة الكنجى مربوط إذ ليس هناك ما يمنع من إنشاء مناطق جديدة كهذه المناطق بأية جهة من أراضى مربوط .

أضف إلى ذلك أن الطريق الحرى الذى أنشىء بين الإسكندرية والسلوم وفرش بالحجر والأسفلت والمحاذى لشاطىء البحر سوف يصبح فى عداد الطرق الجذابة فى العالم وسيكون له عشاق كثيرون يرغبون فى زيارة هـذه المنطقة وذلك يعنى تشييد أماكن للاستراحة والاستمتاع على طول الشاطىء .

كما أن لوجود مواسير المياه الممتدة من ترعة النوبارية لغاية السلوم تأثيراً كبيراً فى تحسين الحالة بهذه المنطقة .

ولو تذكرت ملاءمة جو البحر لشاطىء أفريقيا الشمالى واعتداله فى جميع الفصول ومقارنته بجو الريفييرا المعروف لنا فإنى أعتقد أنه فى ظرف خمسين سنة أو أقل ستحدث تغييرات هامة فى هذه المنطقه وسوف يلازم هذه الحالة وجود سوق للانتاج المحلى .